المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد الثامن عشر، يونيو ٢٠١٧ م

إشكالية مفهومي "أدب الدعوة الإسلامية" و"الأدب الإسلامي": نحو مقاربة تأصيلية لاستجلاء أهم الأبعاد والفروق

محمد أرشد الحسن *

Abstract

The term "Islamic da'wa literature" and "Islamic literature" are two confusing Islamic literary terms. Maybe the reason why it has happened is the fact that the word "Islam" exists in the both terms. However, the terms are not actually the same as they seem to be. For this reason, this article has shed light on the original concepts of the terms and thereby differentiated between them. Hence, the article has been divided into two parts. The first part has dealt with the concepts and the second one has dealt with the differentiation. The article has relied on both inductive and deductive approaches to reach the conclusion since these methods are appropriate for the purpose and nature of this article. As with the major findings, the term "Islamic da'wa literature" is very specific whereas the term "Islamic literature" is very wide-ranging which includes the first one. It is hoped that this article would be helpful for those who have interest in Islamization of literature.

Keywords: Islamic literature, Islamic da'wa literature, important dimensions and differences, fundamental approach.

* طالب دكتوراه في تخصص الأدب العربي بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك عبد العزيز بجده، المملكة العربية السعودية وأستاذ مساعد، قسم العربية، جامعة داكا.

المقدمة

إن مفهومي "أدب الدعوة الإسلامية" و"الأدب الإسلامي" هما من المصطلحات الأدبية الشائعة التي قد تسببت بالالتباس والغموض حول مفهومها فيما بين الناس بشكل عام؛ وذلك، كما يبدو لنا، لنسبة لفظة "الأدب" إلى الإسلام. فظن البعض أنهما يفيدان نفس المعنى وينزعان نفس المغزى. وكذلك هناك أمثلة متناثرة في كتب تتعلق بتاريخ الأدب العربي والدراسات الأدبية والموسوعات المتداولة فيما بين الناس التي تدل على أن كثيرا من الباحثين والنقاد والمؤرخين لا يزالون يفهمون بـ "الأدب الإسلامي" أدبَ عصر صدر الإسلام فحسب. ومن خير دليل يستدل به على ذلك أن الموسوعة العربية العالمية التي تقع في ٣٠ مجلدا ضخما يُقصد فيها بـ "الأدب الإسلامي" أدب عصر صدر الإسلام.[١] وأيضا يقصد بـ "النثر الإسلامي" والشعر الإسلامي" في كتاب "الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)" لحنا الفاخوري (ت ٢٠١١م)[٢] ذلك النثر والشعر اللذان يتم إنشاؤهما في عصر صدر الإسلام. كما يفهم بعض الباحثين بـ "الأدب الإسلامي" ذلك الأدب الذي تم إنشاؤه أثناء العصور الإسلامية التي بدأت ببعثة النبي —صلى الله عليه وسلم– وتمتد حتى يومنا هذا؛ وذلك لسبب بسيط، وهو أنهم ينسبون الأدب إلى مذهب بعينه–وهو الإسلام– وهذا المذهب لا يزال قائما حيا متعبدا به.

فاتضح أن هذين المفهومين يدور حولهما التباس فيما بين الناس. ويندرج تحتهم أحيانا الخواص. من أجل ذلك، يختص المحور الأول لهذه الدراسة بإلقاء الضوء على هذين المصطلحين لحل المشكلة المرتبطة بهما من خلال توضيح مفهومهما. أما المحور الثاني فيرمي إلى التفريق بينهما من نواحي تتعلق باللغة والاصطلاح والغاية والمعالم والحدود. وقد اعتزمنا أن نتقدم في توضيح مفهوم "الأدب" "والدعوة الإسلامية" وبالتالي "أدب الدعوة الإسلامية" و"الأدب الإسلامي" وفق المنهج الاستقرائي والاستنباطي؛ إذ نرى أن هذين المنهجين متوافقان مع هذه الدراسة.

أولا: نحو مقاربة تأصيلية لاستجلاء أهم الأبعاد

في هذا المحور نقارب مفهوم "أدب الدعوة الإسلامية" و"الأدب الإسلامي" من خلال جمع أهم التعاريف من قبل بعض كبار الباحثين والأدباء وتحليل المكونات والعناصر المتوافرة فيها بحيث نستطيع أن نقدم من قبلنا مفهومين واضحي الأبعاد والحدود التي ستساعدنا على بناء المحور الثاني لهذه الدراسة. وعلى الرغم من أن طبيعة هذه الدراسة تحتاج إلى طول المكث، إلا أن ضيق المقام اضطرنا إلى الاختصار.

١,١- أدب الدعوة الإسلامية: مفهوم وأبعاد

إن الكلام حول مفهوم "أدب الدعوة الإسلامية" يقتضي قبل كل شيء إلقاء الضوء على مفهوم "الأدب" ومفهوم "الدعوة الإسلامية" بشكل مفرد لنحصل من خلالهما على مفهوم "أدب الدعوة" مفهوما مركبا. وبالتالي يحسن بنا أن نبدأ بالكلام حول مفهوم "الأدب" على وجه الإيجاز، على الرغم من أن مفهومه قد طالت مناقشته في ساحتي البحث الأدبي والفلسفي قديما وحديثا.

١,١,١- مفهوم الأدب

هناك عدد كبير من التعاريف للأدب أزجى بها الأدباء والباحثون شرقا وغربا، كلٌ من وجهة نظر بعينها وموقف محدد. فنذكر -على سبيل المثال لا الحصر- ما قاله هدسن (ت ١٩٢٢م) من "أن الأدب تعبير عن الحياة وسيلته اللغة"[٣]. وقال إمرسن (ت ١٨٨٢م): "الأدب سجل لخير الأفكار". وقال الأستاذ ستبفورد برك (ت ١٩١٦م): "نريد بالأدب أفكار الأذكياء ومشاعرهم مكتوبة بأسولب يلذ القارئ"[٤]. وقيل: "الأدب هو كتابة خيالية؛ كتابة ليست حقيقية بشكل حرفي"[٥]. وقيل: "الأدب تعبير راق عن المشاعر والأفكار والآراء والخبرة الإنسانية. وهو في معناه العام يشمل كل ما كتب عن التجارب الإنسانية عامة. ويشمل أيضا الكتابات المختلفة من معلقات العرب وملاحم الإغريق وما سجله المصريون القدماء، وكذلك روايات نجيب محفوظ ومغامرات ماركوبولو ومسرحيات

وليم شكسبير، ومقامات الحريري ورحلات ابن بطوطة والكتب الهزلية والسير الذاتية وما إلى ذلك...فالأدب هو أحد الفنون الجميلة، أو ما يمكن أن يشار إليه بالكتابة الجميلة"[٦]. وقيل: "الأدب هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يراد به التأثير في عواطف القراء والسامعين، شعرا كان أم نثرا"[٧]. وقال مصطفى صادق الرافعي[٨] (ت ١٩٣٧م): " والأدب من العلوم كالأعصاب من الجسم، هي أدق ما فيه ولكنها مع ذلك هي الحياة والخلْق والقوة والإبداع". وقال منير البعلبكي (ت ١٩٩٩م)[٩] أنه "فن القول. أو فن التعبير بالكلمة الساحرة. ثمرته آثار نثرية أو شعرية تتميز بجمال الشكل وتنطوي، غالبا، على مضمون ذي بعد إنساني يضفي عليها قيمة باقية".

وهناك بعض الباحثين الذين مالوا إلى تعريف "العمل الأدبي" لا "الأدب"؛ نظرا لأنه قائم ملموس غير مجرد. فوجدنا من هذا القبيل عز الدين إسماعيل (ت٢٠٠٧م) حين يقول: "إن العمل الأدبي بناء لغوي يستغل كل إمكانات اللغة الموسيقية والتصويرية والإيحائية والدالة في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة"[١٠]. كما وجدنا في هذا الصف سيد قطب (ت ١٩٦٦م) الذى قال: "إنه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية"[١١].

فلو تأملنا التعاريف السابقة للأدب لوجدنا أن فيها وصفا لطبيعة الأدب وماهيته وعناصره وغايته ووظيفته ومتعلقاته، كما وجدنا فيها إشارة واضحة إلى العلاقة القائمة بين المبدع والنص والمتلقي جمعيا ما يقوم مقام المرسِل والرسالة والمرسَل إليه في نظرية الاتصال. لكن كل هذه الأوصاف متناثرة في تعريفات شتى غير موجودة بشكل تام في أحد من التعريفات السابقة، على حين أن هذه الأوصاف تتعلق بالأدب تعلقا شديدا وترتبط به ارتباطا قويا بحيث تقتضي أن تكون مذكورة في تعريف واحد. من أجل ذلك، نحاول أن نجمع بين تلك الأوصاف في تعريفنا للأدب الخالص على ضوء ما عرفه الأدباء والباحثون والناقدون في الشرق والغرب، وذلك على النحو الآتي:

"إنه تعبير منطوق أو مكتوب عن تجربة عاطفية وشعورية وفكرية حصلت لدى المبدع أو الفنان تأثرًا بالإنسان والحياة والكون، ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة مرتبطة بالإنسانية والحياة والكون، بأسلوب خاص مع متعة فنية ومن خلال القوة والإبداعية والتخييل والانفعال الوجداني ما يضفي عليه بقيمة باقية."

١,١,٢–مفهوم الدعوة

بالنسبة لتعريف الدعوة الإسلامية فلها تعاريف كثيرة نذكر منها –على سبيل المثال لا الحصر– ما قاله الشيخ محمد الراوي من أنها "دين الله الذي ارتضاه للعالمين، تمكينا لخلافتهم وتيسيرا لضرورتهم ووفاء بحقوقهم ورعاية لشؤونهم وحماية لوحدتهم وتكريما لإنسانيتهم وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم، وهي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات وهي قبل ذلك وبعده الاعتراف بالخالق والبر بالمخلوقين"[١٢]. كما قال أحمد أحمد غلوش هي: " العلم الذي به يعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"[١٣]. وكما قيل هو "تبليغ الناس جميعا دعوة الإسلام وهدايتهم إليها قولا وعملا في كل زمان ومكان بأساليب ووسائل خاصة، تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم"[١٤]. وبالمثل قيل إنها: " قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادا ومنهجا وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة"[١٥] وغير ذلك.

فلو تمعّنا في هذه التعاريف وجدنا أنها ترجع أولا إلى أن كلمة "الدعوة" كلمة مشتركة تدل على معنى الدين الإسلام وتدل، كذلك، على معنى تبليغه فيما بين الناس.[١٦] كما أن بعض التعاريف تشمل الجانب المتصل بالداعية وأهليته في مجال الدعوة في حين أن بعضها تهتم بالمدعو والمدعو إليه. هذا إلى أن بعضها ينظر إلى الدعوة على أنها علم مستقل له موضوع وغاية ومنهج بعينه. فمن وجهة نظرنا أنه من الأفضل أن يُذكر في التعريف كلٌ

من الداعية والمدعو والمدعو إليه والغاية التي يرمى إليها والمنهج الذي يتبع فيها؛ وذلك لأن يعطي صورة متكاملة للدعوة. فبالتالي التعريف المختار عندنا هو:

"قيام داعية مؤهل بنشر دين الإسلام الذي ارتضاه رب العالمين للإنس والجن جميعا، وفق المنهج القويم، لإعلاء كلمة الله هي العليا في الدنيا وابتغاء مرضاة الله وجناته في الآخرة، حسب مقتضيات الأحوال والظروف المحيطة بالمدعوين في كل زمان ومكان."

فبعد جولتنا القصيرة حول مفهوم "الأدب" و"الدعوة الإسلامية" تسنى لنا أن نعرج الآن على مفهوم "أدب الدعوة الإسلامية".

١,١,٣-أدب الدعوة الإسلامية: مفهوم وأبعاد

قد سبق أن تناولنا مفهوم كلمة "الأدب" ومفهوم "الدعوة الإسلامية" وكشفنا عن مقوماتهما على حدة. فوجدنا من مقومات تعريف الأدب -مثلا- ما يتصل بالمبدع، والنص، والمتلقي، والتعبير، والقوة، والإبداعية، والعاطفة، والخيال، والأسلوب، والمتعة الفنية، وخبرة جديدة فيما يتعلق بالإنسان والحياة والكون متمثلة في المعاني والأفكار وما إلى ذلك. وقد حاولنا أن نقول بأن كل هذه الصفات يجب أن تأخذ في عين الاعتبار عند مناقشة عمل أدبي ما.

أما فيما يتعلق بمفهوم الدعوة الإسلامية فقد توصلنا من خلال مناقشتها إلى مقوماتها وهي: وجود داعية وأهليته، والمدعو إليه وهو الإسلام وتبليغه، والمدعو، واتباع المنهج القويم، والمراعاة لمقتضيات الأحوال والظروف للمدعو، وشمولية الدعوة في كل زمان ومكان، وتحديد غاية دنيوية -وهي إعلاء كلمة الله-، وغاية أخروية -وهي نيل مرضات الله ودخول جناته-.

فلما اجتمعت لنا مقومات مفهومي "الأدب" و"الدعوة الإسلامية" جميعا نخوض الآن في تحديد مفهوم "أدب الدعوة الإسلامية" بناء على تلك المقومات، ولا يفوتنّا هنا التركيز على الناحية الجمالية للعمل الأدبي؛ إذ "ليست إسلامية المضمون شفيعة للأديب المسلم

أن يقصر في جمالية الشكل ولا في التجويد الفني"[١٧]. كما لا يفوتنا تكثيف العقائد الصحيحة؛ إذ إن العقائد الصحيحة هي منطلق الدعوة ومنتهاها.[١٨] فلا بد من توافرهما في مفهوم أدب الدعوة في آن معا؛ إذ عدم وجود الجمالية يفضي إلى الفشل في تحقيق أحد هدفي الأدب وهو المتعة الفنية، كما أن عدم توفر العقائد الصحيحة يسوق إلى الضلالة و"التخبط الفظيع، وسوف ينال من الجفاء بقدر انكفائه عن العقيدة"[١٩]. فبالتالي نحاول أن نجترئ على تحديد أدب الدعوة الإسلامية على النحو الآتي:

"هو تعبير فني جميل هادف، منطوق أو مكتوب صريح أو ضمني، عن تجربة عاطفية وشعورية وفكرية حصلت لدى المبدع من خلال التصور الإسلامي باتجاه الخالق والمخلوقات والعلاقة القائمة بينه وبينها، يبلّغ المتلقي خبرة جديدة مرتبطة بحقيقة الدين الإسلام وكشف الشبه حوله والدفاع عنه بأسلوب خاص مع متعة فنية والإبداعية والتخييل والانفعال الوجداني ما يضفي على التعبير بقيمة باقية، ومن خلال القوة الجاذبة المحركة التي تدفع المتلقي إلى اتخاذ موقف والقيام بنشاط ما وتحوّله إلى شخصية إسلامية".

فمن الملاحظ هنا أن هذا التعريف يحتوي أساسا على جزئين؛ جزء يتعلق بالأدب وآخر يتصل بالدعوة. أما الجزء المتصل بالأدب فقد حاولنا فيه أن نحافظ على كل مقومات لمفهوم الأدب بشكل عام لكيلا تنقصه الجوانب الفنية بوجه من الوجوه. وأما الجزء المتعلق بالدعوة فقد أتينا ببعض المقومات الجديدة بحيث تتناسب مع ليونة الأدب ورقته من جهة وتبقى روحية الدعوة من جهة أخرى. فقد ذكرنا –مثلا– أن الشعور والفكر والعاطفة التي دفعت المبدع وقامت بتحريكه نحو إنشاء الأدب الدعوي تنشأ من العقيدة الإسلامية الصحيحة–وهي المقصود بالتصور الإسلامي في التعريف[٢٠]– المستمدة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصريحة أوليا والتصور الفطري والمنطق العقلي السليم ثانويا، فيما يتعلق بالعلاقة بين الخالق والمخلوقات التي يمكن أن يطلق عليها بعلاقة

الربوبية والعبودية؛ ذكرنا ذلك لأن الدعوة الإسلامية —بطريقة أو أخرى– ليست إلا إقامة هذه العلاقة بين الرب والمربوب. ثم أضفنا إلى ذلك أربعة مكونات أخرى وهي: حقيقة الدين –أو لنقل حقيقة العلاقة–وكشف الشبه حوله، والدفاع عنه، وبناء الشخصية الإسلامية؛ إذ إن الثلاثة الأول أجزاء لا تتجزؤ عن الدعوة. وأما العنصر الأخير–وهو بناء الشخصية– فيمثل غاية مهام الدعوة. وأما الدين الحقيقي فيظهر بكامل مظاهره وخصائصه إذا أزيلت الشبه حوله وإذا دوفع عنه خير دفاع. ولقد شهد لنا تاريخ عصر صدر الإسلام كيف كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم — يبلغون الدين. فإنهم لم يكتفوا بتبليغ حقيقة الدين فحسب، بل جعلوا مهمتي إزالة الشبه حوله والدفاع عنه نصب أعينهم أيضا. فلما ألقوا الخطب أوأنشدوا الشعر لنشر دين الله القويم صوروا حقيقة الدين وفندوا أقاويل المخالفين ودحضوا حججهم للدفاع عنه على حد سواء. ومن خير دليل يستدل به على ذلك قول بجير بن زهير —رضي الله عنه– (ت ٦٣٢م) على النحو الآتي [الطويل – ق — المتدارك]:

من مبلغٌ كعبا فهل لك في التي
تلوم عليها، باطلا، وهي أحزمُ؟
إلى الله!، لا العزى، ولا اللات وحده
فتنجو إذا كان النجاء وتسلمُ
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ
من النار إلا طاهرُ القلب مسلمُ
فدين زهير، وهو لا شيءَ، دينه
ودين أبي سلمى عليّ محرّمُ[٢١]

فمن الملاحظ أن المقطوعة تحتوي على روح الدعوة وهو العقيدة الصحيحة متمثلة في البيت الثاني والثالث كما تشمل رفع الشبه حول الدين والدفاع عنه متمثلين في البيت الأول

والأخير. ومما يجدر هنا بالذكر أنه ليس ضروريا أن يوجد جميع هذه المكونات المتعلقة بالدعوة في عمل أدبي واحد، بل يكفي أن يشتمل على أحد من المكونات الثلاثة على الأقل. كما لا يجب مراعاة الترتيب في حشد المكونات انطلاقا من حقيقة الدين ومرورا بإزالة الشبه وانتهاء بالدفاع عنه، بل يظل هذا الباب مفتوحا على مصراعيه للمبدعين بحيث يتسنى لهم صياغة العمل الأدبي حسب المقام. هذا إلى أننا أضفنا إلى تعريف أدب الدعوة كلمتي "صريح" و"ضمني". بمعنى أن أدب الدعوة إما أن يكون صريحا بلفظه وإما أن يكون على عكسه. وإنما أضفنا "ضمني" أو غير صريح، إذ إنه "من المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف"[٢٢]. فكلما طال انتظار الذات للوصول إلى الفكرة بعد جهد وعناء زادت لها المتعة النفسية التي هي المتعة الجمالية أيضا. فليس من الضرورة أن يكون النص الأدبي الدعوي صريحا دائما، بل قد يكون النص غير الصريح أنفع وألذ وأمتع أحيانا.

وبالجملة، فقد توصلنا إلى مفهوم "أدب الدعوة الإسلامية" عن طريق التحليل لعناصر "الأدب" و"الدعوة الإسلامية" اللذين هما يشكلان القطبين لأدب الدعوة. فبالتالي يتكون مفهوم أدب الدعوة —من وجهة نظرنا المتواضعة– على النحو الآتي:

عناصر الأدب + عناصر الدعوة الإسلامية = أدب الدعوة الإسلامية

شكل رقم ١ طريقة تكوّن مفهوم أدب الدعوة الإسلامية

فلما تبين لنا مفهوم "أدب الدعوة الإسلامية" يحسن بنا أن نتناول الحديث عن مصطلح آخر يشارك مفهوم "أدب الدعوة الإسلامية" وهو مصطلح "الأدب الإسلامي". فهل "الأدب الإسلامي" هو بذاته "أدب الدعوة الإسلامية" أم هناك فرق؟ فإن كان هناك فرق فما هو؟ وهذه هي النقاط التي سنتناولها على وجه الإيجاز في الذيل.

١,٢– الأدب الإسلامي: مفهوم وأبعاد

إن مفهوم "الأدب الإسلامي" قد تناوله كبار الباحثين والنقاد الإسلاميين وعرفوه بتعاريف شتى نذكر هنا بعضا من أهمها لكي نجد العناصر الرئيسة لتكوين مفهومه. فقد عرفه عبد الرحمن رأفت الباشا (ت ١٩٨٦م)[٢٣] –مثلا–على النحو الآتي: "هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته". وقال سيد قطب[٢٤] في تحديد مفهومه: "ليس الأدب الإسلامي هو وحده الذي يتحدث عن الإسلام أو عن حقبة من تاريخه أو عن شخص من أشخاصه، إنما هو التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية وكفى". وقد عرف محمد قطب (ت ٢٠١٤م) الفن الإسلامي الذي يحتوي على جذور تصور الأدب الإسلامي حيث قال: "الفن الإسلامي ليس هو الفن الذي يتحدث عن حقائق العقيدة مبلورة في صورة فلسفية، ولا هو مجموعة من الحِكم والمواعظ والإرشادات. وإنما هو شيء أشمل من ذلك وأوسع. إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود"[٢٥]. وقال نجيب الكيلاني (ت ١٩٩٥م): "أن الأدب الإسلامي تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف، والقيام بنشاط ما"[٢٦].

فهذه جملة من أهم التعاريف التي قامت بتحديد مفهوم "الأدب الإسلامي". ومما يلاحظ هنا أنه لم يخص أحد من منظري "الأدب الإسلامي" نظرية "الأدب الإسلامي" بعصر صدر الإسلام أو بالعصور تحت ظل الإسلام. فاتضح من تعاريفهم أن "الأدب الإسلامي" ليس خاصا بعصر من العصور الإسلامية كما يزعم البعض. بل هو أوسع وأشمل مما رأوا. كما لم يذكر أحد منهم في صلب التعريف الموضوعات التي تتعلق بالعبادات والأذكار والابتهالات والمواعظ والحكم والتوجيهات الأخلاقية والنصائح السلوكية وما إلى

ذلك. إنما هم ركزوا على المقوم الأساسي لمضمونية الأدب الإسلامي بشكل عام؛ ألا وهو التصور الإسلامي الذي يشمل الخالق والمخلوقات جميعا وحتى يتجاوز الحياة إلى ما قبلها وما بعدها على السواء. كما يلاحظ أن بعضا من التعاريف يُعنى بالمبدع ووجدانه ومشاعره دون أي إشارة إلى الأبعاد التي تتعلق بالتلقي. وبعضها يهتم بالتعبير الجميل أو النص الأدبي وأهم خصائصه. كما يهتم بعضها بالجوانب المتعلقة بالمبدع والنص بشكل صريح والمتلقي بشكل غير صريح. على أية حال، فإننا على يقين بأن هذه التعاريف، رغم قلّتها وقصورها في بعض الجوانب، تحتوي على كل العناصر الرئيسة لتكوين مفهوم الأدب الإسلامي.

فبناء على ذلك، نرى أنه يجمل بنا أن نقدم تعريفا للأدب الإسلامي وفق المنهج الذي اتبعناه سابقا بحيث يكتمل جهودنا ومشاركتنا في تحديد المفاهيم عن طريق إضافة جديدة حتى ولو كانت ضئيلة. فالعناصر التي حصلنا عليها من خلال التعاريف السابقة هي: تعبير، فن جميل، مؤثر، أشمل وأوسع، هادف، التصور الإسلامي للخالق والحياة والكون والإنسان، الأسس العقائدية للإسلام، الحديث عن الإسلام، المشاعر الإسلامية، باعث للمتعة والمنفعة، محرك للوجدان والفكر، محفز لاتخاذ موقف، القيام بنشاط ما.

فمما يجدر الإشارة إليه أنه لا يوجد في هذه العناصر كلمة "المتلقي" في حين أنه من غايات العمل الأدبي. كما لا يوجد "الأسلوب" وهو من عناصر الأدب. فنرى أن عدم ذكر بُعْدَي "المتلقي" و"الأسلوب" في تعريف الأدب –أيا كان شكله ومضمونه ومذهبه– ينقصه إلى حد كبير. فبالتالي سيكون التعريف المختار للأدب الإسلامي عندنا كالآتي:

" هو تعبير فني جميل هادف منطوق أو مكتوب عن تجربة عاطفية وشعورية وفكرية حصلت لدى المبدع من خلال التصور الإسلامي باتجاه الخالق والمخلوقات والعلاقة القائمة بينه وبينها، يعطي المتلقي خبرة جديدة مرتبطة بالحياة والكون الإنسان والخالق وفق ذلك التصور الشامل الواسع، بأسلوب خاص مع متعة فنية والإبداعية والتخييل والانفعال

الوجداني ما يضفى على التعبير بقيمة باقية، ومن خلال القوة الجاذبة المحركة التي تدفع المتلقي إلى اتخاذ موقف ما."

ففي هذا التعريف لم نذكر كلمة "المنفعة" لتوافرها في حصول المتلقي على الخبرة الجديدة حول الحياة والكون والإنسان والخالق وفق التصور الإسلامي. ولم نذكر الأسس العقائدية الإسلامية لأنها هي المقصود بالتصور الإسلامي الذي أوضحناه سابقا.[٢٧] هذا إلى أننا ركزنا على جمالية النص بكامل مقوماتها؛ إذ "ليست إسلامية المضمون شفيعة للأديب المسلم أن يقصر في جمالية الشكل ولا في التجويد الفني"[٢٨]؛ لأنه يعد "مما يزري الأدب الإسلامي ويضربه، ويكون حجة عليه في يد خصومه، بل إن الإديب المسلم مدعو أكثر من غيره إلى أن يبلغ قمة الروعة في الأداء الفني حتى يكون أدبه شرارة توقظ القلوب بحرارة التجربة ولهيب الإبداع، ونورا يسير على سناه المسلمون ليخرجوا من تيه الضياع"[٢٩].

فإذا انتهينا من تقديم مفهومي "أدب الدعوة الإسلامية" و"الأدب الإسلامي" فقد آن الأوان لنعرج على المحور الثاني الذي سيحتوي على أهم الفروق بين هذين المصطلحين.

ثانيا: أهم الفروق بين "أدب الدعوة الإسلامية" و"الأدب الإسلامي"

قد سبق أن وضحنا مفهومي "أدب الدعوة" و"الأدب الإسلامي". ففي هذا المحور سنتناول أهم الفروق بينهما وهي كالآتي:

٢,١- من حيث اللغة والاصطلاح

لا يخفى أن هناك فرقا لغويا —من وجهة نظر النحوية- بين مصطلح "أدب الدعوة الإسلامية" و"الأدب الإسلامي"؛ إذ إن الأول مركب إضافي والثاني مركب وصفي. كما أن هناك فروقا في المفهومين. وهذه الفروق تتجلى أكثر إذا أتينا بالمفهومين معا ونقارن بينهما كالآتي:

مفهوم "الأدب الإسلامي"	مفهوم "أدب الدعوة الإسلامية"
" هو تعبير فني جميل هادف منطوق أو مكتوب صريح أو ضمني عن تجربة عاطفية وشعورية وفكرية حصلت لدى المبدع من خلال التصور الإسلامي باتجاه الخالق والمخلوقات والعلاقة القائمة بينه وبينها، **يعطي المتلقي خبرة جديدة مرتبطة بالحياة والكون والإنسان والخالق وفق ذلك التصور الشامل الواسع**، بأسلوب خاص مع متعة فنية والإبداعية والتخييل والانفعال الوجداني ما يضفى على التعبير بقيمة باقية، ومن خلال القوة الجاذبة المحركة التي تدفع المتلقي إلى اتخاذ موقف ما."	"هو تعبير فني جميل هادف منطوق أو مكتوب صريح أو ضمني عن تجربة عاطفية وشعورية وفكرية حصلت لدى المبدع من خلال التصور الإسلامي باتجاه الخالق والمخلوقات والعلاقة القائمة بينه وبينها، **يبلّغ المتلقي خبرة جديدة مرتبطة بحقيقة الدين الإسلام وكشف الشبه حوله والدفاع عنه** بأسلوب خاص مع متعة فنية والإبداعية والتخييل والانفعال الوجداني ما يضفى على التعبير بقيمة باقية، ومن خلال القوة الجاذبة المحركة التي تدفع المتلقي إلى اتخاذ موقف والقيام بنشاط ما **وتحوّله إلى شخصية إسلامية**."

فاتضحت من المفهومين الفروق الآتية:

أ. أن "الأدب الإسلامي" لا يختص بعصر صدر الإسلام ولا بالعصور الإسلامية بدون استثناء. إنما هو أدب المضمون والشكل على السواء، يشمل كل الأزمنة والأمكنة، بشريطة أن يكون المضمون وفق التصور الإسلامي للخالق والمخلوقات والعلاقات بينه وبينها بالإضافة إلى العلاقات القائمة بين بني نوع الإنسان وعلاقتهم مع سائر المخلوقات.

بـ. أن "أدب الدعوة الإسلامية" مورده نفس مورد "الأدب الإسلامي"، إلا أن "أدب الدعوة" يختص بنشر وتبليغ حقيقة الإسلام والدفاع عنه وإزالة الشبه حوله وبناء الشخصية الإسلامية. وماعدا هذه المكونات الأربعة لا فرق بين المصطلحين بشكل عام.

جـ. أن "الأدب الإسلامي" عام شامل وأن "أدب الدعوة الإسلامية" خاص من جهة التبليغ والنشر.

٢,٢– من حيث الغاية

كما يوجد فرق بين "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة الإسلامية" لغة واصطلاحا، كذلك يوجد فرق بين الغايات التي يهدف "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة الإسلامية" إلى وصولها. فأما الغايات التي يستهدفها "الأدب الإسلامي" بشكل عام، فأهمها في الآتي:

أ. أن يجعل الأدب عاما، لا خاصا، ويوسّع نطاقه لكل البشرية كما كان الإسلام لكل البشرية.

ب. أن يختار التصور الإسلامي حول الخالق والحياة والكون والإنسان نموذجا أعلى للعمل الأدبي وأن يبحث عن الخلق والإبداعية داخل إطار ذلك التصور.[٣٠]

ج. أن يعطى تجربة جديدة مرتبطة بالحياة والكون والإنسان وفق التصور الإسلامي.

د. أن يجعل العمل الأدبي ذا هدف نفعي واقعي وفق التصور الإسلامي، يشمل كل الأزمنة والأمكنة؛ لا أن يكون خاصا ببقعة من البقاع أو عصر من العصور حتى تذهب حاجته بذهاب ذلك الزمان أو باختلاف تلك البقعة؛ وذلك لقول الله عز وجل (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ) [سورة الرعد: ١٧].

ه. أن يجعل المضمون الأدبي إيجابيا سواء أكانت الإيجابية فيما يتعلق بعلاقة الله عز وجل بالكون والحياة والإنسان أو فيما يتصل بايجابية الإنسان في الكون؛ وذلك استيحاء من قول الله عز وجل (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [سورة الأعراف: ١٥٦] و قوله تعالى (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـهِ) [سورة الزمر: ٥٣] وغير ذلك.[٣١]

و. أن يجعل المتلقي ناظرا ومتأملا في أسرار الكون والحياة والإنسان؛ وذلك استلهاما من قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) [سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١] وغير ذلك.

ز. أن يستكشف الجمالية في المناظر والمشاعر ويحبّبها لدى المتلقي؛ وذلك استلهاما من قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– [إن الله جميل، يحب الجمال][٣٢] وقول الله عز وجل (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) [سورة الملك: ٥] وغير ذلك.[٣٣]

ح. أن ينقّي الأحاسيس ويُخصب المشاعر ويصفّي العقول ويرفع الهمم بقوة دافعة إلى اتخاذ موقف ما؛ وذلك استيحاء من قوله تعالى (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [سورة البقرة: ٢٢٢] وقوله –صلى الله عليه وسلم– [إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة...إلخ][٣٤].

ط. وغير ذلك.

أما بالنسبة لغايات "أدب الدعوة الإسلامية" فيتمثل أهمها وأغرها على وجه الاختصار في الآتي:

أ. أن يدعو إلى حقيقة الدين؛ وذلك امتثالا بقول الله عز وجل (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [سورة النحل: ١٢٥].

ب. أن ينافح عن الدين؛ وذلك استيحاء من قول رسول الله —صلى الله عليه وسلم– [اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل...إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله...إلخ][٣٥].

ج. أن يزيل الشبه حول الدين؛ وذلك استلهاما من قوله تعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [سورة إبراهيم: ١] وغير ذلك.

د. أن يحدث الوجدان الإسلامي.[٣٦]

ه. أن يبني شخصية إسلامية.[٣٧]

فاتضح مما سبق أن الفرق الفارق بين غايتي "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة الإسلامية" هو أن "أدب الدعوة" يرمي إلى النشر والتبليغ لدين الله القويم وإحداث الانفعال الوجلادني الإسلامي وبناء الشخصية الإسلامية الحقة عن طريق العمل الأدبي في حين أن "الأدب الإسلامي" لا يهدف إلى ذلك أساسيا، ما جعل غاية "أدب الدعوة" أخص الخواص بالمقارنة إلى "الأدب الإسلامي".

٢,٣– من حيث الحدود والمجالات

إن أفضل طريق لتحديد حدود "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة الإسلامية" هو–من وجهة نظرنا– المقارنة بين مفهوم المصطلحين. فإذا اتضح لنا المفهوم اتضحت الحدود والأبعاد معه تلقائيا. فبناء على المفهومين، يمكن تحديد أهم حدود "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة الإسلامية" كالآتي:

أهم حدود "الأدب الإسلامي" وأبعاده	أهم حدود "أدب الدعوة الإسلامية" وأبعاده
١. يشمل الأدب الإسلامي الخالق (وفق التصور الإسلامي).	١. أدب الدعوة الإسلامية يختص بنشر الدين وتبليغيه.
٢. يشمل الأدب الإسلامي الكون كله (وفق التصور الإسلامي).	٢. أدب الدعوة الإسلامية يتميز بالمنافحة عن الدين.
٣. يشمل الأدب الإسلامي الحياة المبثوثة في الكون (وفق التصور الإسلامي).	٣. أدب الدعوة الإسلامية يتعلق بإزالة الشبهات حول الدين.
٤. يشمل الأدب الإسلامي الإنسانية (وفق التصور الإسلامي).	٤. أدب الدعوة الإسلامية يتميز ببناء شخصية إسلامية.

فبناء على هذا الجدول، يمكن أن يقال بأن حدود "الأدب الإسلامي" لا تنحصر في الإسلام والمسلمين فحسب، بل تتعداها إلى كل البشرية وحتى تمتد إلى الكون وخالق الكون جميعا. أما حدود "أدب الدعوة الإسلامية" فتختص أساسا بالأبعاد التبليغية والتربوية وما يمت إليهما بصلة.

الخاتمة

فبعد هذه الجولة القصيرة يمكن أن نتوصل إلى الآتي:

١. أن "الأدب الإسلامي" عام يندرج تحته "أدب الدعوة الإسلامية".

٢. أن "الأدب الإسلامي" ليس خاصا بعصر من العصور ولا ببقعة من البقاع، بل يشمل كل الأزمنة والأماكن. وكذلك "أدب الدعوة الإسلامية" لا يختص بمكان ولا بزمان.

٣. أن "الأدب الإسلامي" يتعدى حياة المسلم إلى كل البشرية، بل يمتد نطاقه إلى الكون والحياة المبثوثة فيه وخالقهما.

٤. أن غاية "الأدب الإسلامي" الكبرى هي الالتزام بالتصور الإسلامي في المضمون وعدم تجاوزه بوجه من الوجوه، وأن غاية "أدب الدعوة" الكبرى هي نشر وتبليغ حقيقة الدين وبناء الشخصية الإسلامية.

٥. أن كلا من "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة" يركز على الجمالية بكامل مقوماتها؛ لا ينقصهما الأبعاد الجمالية بوجه من الوجوه.

٦. أن كلا من "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة" يمثل الأدب الهادف والواقعي.

٧. أن كلا من "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة" يمثل الأدب النفعي والجمالي على حد سواء.

٨. أن كلا من "الأدب الإسلامي" و"أدب الدعوة" يشمل كل الفنون الأدبية.

المراجع والمصادر

١. راجع: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الموسوعة العربية العالمية، ط ٢ (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م)، ج١، ص٣٨٢، ج ١٦، ص٢٠٧-٢٠٩

٢. (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م)، ص ٢٩٥-٥٠٣

٣. William Henry Hudson, An Introduction to the study of Literature, 2 ed. (London: George E. Harrap, n.d.), p. 10.

٤. أحمد الشائب، مرجع سابق، ص ١٧

٥. Terry Eagleton, Literary Theory An Introduction, 2nd ed. (Minneapolis, MN: The University of Minnesota Press, 2003), p. 2.

٦. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الموسوعة العربية العالمية، ج١، ص ٣٧٢-٣٧٣

٧. المرجع سابق، ج ١٦، ص ٢٠٥

٨. تحت راية القرآن، ط ٤ (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٦م)، ص ١٣٠

٩. موسوعة المورد، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٦م)، ج ٦، ص ١٢٨

[١٠] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، د. ط (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.)، ص ٢٥

[١١] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، د. ط. (القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.)، ص ٧

[١٢] الدعوة الإسلامية دعوة عالمية (الرياض: دار الكتب العربي، د. ت.)، ص ٣٠

[١٣] الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ط ٢ (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٤٠٧ه=١٩٨٧م)،ص ١٠

[١٤] محمد أمين حسين، خصائص الدعوة الإسلامية (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ)، ص ١٧

[١٥] أبو المجد سيد نوفل، الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها (القاهرة: مطبعة الحضارة العربية، ١٣٩٧هـ)، ص ١٨

[١٦] غلوش، مرجع سابق، ص ١٠

[١٧] عبد القدوس أبو صالح، "قضية الأدب الإسلامي". تم إلقاؤه في مؤتمر الأدب الإسلامي بكلية الآداب بجامعة عين شمس، في ربيع الثاني ١٤١٣هـ (٢٣–٢٥) الموافق لـ أكتوبر ١٩٩٢م (٢٠–٢٢). منقول عن: صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ =٢٠٠٢م)، ص ٢٤٢

[١٨] كانت العقائد الصحيحة هي أساس الدعوة ومنطلقها وفق منهج الأنبياء والمرسلين. وهذه العقائد تنبني على النصوص الدينية الصريحة والفطرة الإنسانية والمنطق السليم جميعا. [ربيع بن هادي المدخلي، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل (الكويت: دار السلفية، ١٤٠٦هـ)، ص ٢٧؛ محمد خليل هراس، دعوة التوحيد (طنطا، مصر: مكتبة الصحابة، د.ت.)، ص ٢٥٢–٢٥٣.]

[١٩] عبد الرحيم بن محمد المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، ط ٢ (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ=٢٠١٠م)، ص ٣١٠

[٢٠] التصور الإسلامي هو عبارة عن مجموعة من الحقائق العقيدية الأساسية التي تنشئ في عقل المسلم وقلبه ذلك التصور الخالص للوجود، وما وراءه من قدرة مبدعة وإرادة مدبرة، وما يقوم بين هذا الوجود وهذه الإرادة من صلات وارتباطات. [سيط قطب، مقومات التصور الإسلامي (القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، ص ٤١]

[٢١] كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د حنا نصر الحتي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م)، ص ٢٦

[٢٢] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قدمه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، د.ت)، ص ١٣٩

[٢٣] نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ط ٦ (القاهرة: دار الأدب الإسلامي، ٢٠٠٨م)، ص ١١٣، ٢٢٥

[٢٤] في التاريخ.. فكرة ومنهج (بيروت: دار الشروق، د.ت)، ص ٢٨

[٢٥] منهج الفن الإسلامي، ط٦ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م)، ص ١١٩

[٢٦] مدخل إلى الأدب الإسلامي (قطر: كتاب الأمة، ١٤٠٧هـ)، ص ٢٦

[٢٧] راجع: حاشية رقم ٣٨

[٢٨] عبد القدوس أبو صالح، "قضية الأدب الإسلامي". تم إلقاؤه في مؤتمر الأدب الإسلامي بكلية الآداب بجامعة عين شمس، في ربيع الثاني ١٤١٣هـ (٢٣–٢٥) الموافق لـ أكتوبر ١٩٩٢م (٢٠–٢٢). منقول عن: صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ =٢٠٠٢م)، ص ٢٤٢

[٢٩] صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ =٢٠٠٢م)، ص ٢٤٢

[٣٠] مرجع سابق، ص ٣١–٣٢

[٣١] مرجع سابق، ص ٥٠–٥١

[٣٢] أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت ٨٧٥م)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: ٩١

[٣٣] سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، ٣٣٨–٣٤٣

[٣٤] أبو عيسى محمد الترمذي (ت ٨٩٢م)، سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة، حديث رقم: ٢٧٩٩

[٣٥] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٤٩٠

[٣٦] صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص ٢٤٣

[٣٧] المرجع السابق